تلخيص مقاصد الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة

اسم الكتاب: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة

المؤلف: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكاتب الدينوري

الناشر: المكتبة الأزهرية

تحقيق: محمد زاهد الكوثري

الطبعة الأولى 1422هـ-2001م

ابتدأ كتابه بذكر فتنة الناس واختلافهم في الدين، والتباس الحق عليهم بالباطل، وأن هذا الاختلاف قد سرى إلى أصحاب الحديث أهل السنة، فوجب عليه أن يبين لهم ما اختلفوا فيه. وذكر انقسام الناس المتبعين قوله إلى مقلد وصاحب هوى وطالب حق.

ثم اختص نفاة القدر ببداية ردوده، وذكر استغناؤه عن الكلام لكثرة من هلك به. ومثّل له بقياس النفاة قدر الله على ما يرونه من المخلوقين، فتوهموا أن الإضلال والتعذيب والتكليف ظلمٌ ونسوا أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن بالإجماع.

نفاة القدر وتأويلاتهم: واستدل النفاة على قولهم بعدد من التأويلات المستنكرة للآيات فمنها ((يضل من يشاء))[1] بمعنى نسبتهم إلى الضلال، ((يهدي من يشاء))[2] على نفس التأويل السابق. فرد عليهم ابن قتيبة بقوله: "ولو أراد النسبة لقال يضللهم كما يقال يخونهم ويفسقهم ويظلمهم أي ينسبهم إلى ذلك"[3].

الاستدلال الأول: واستدلوا كذلك بقوله: ((وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله))[4]، وفسروا الإذن بالعلم جريًا على قولهم: أذنتك بالأمر. ثم بين ابن قتيبة أن ذلك متفقٌ عليه بين الجميع، وأن الاختلاف هو في المشيئة، فأهل الإثبات يقولون أنه لم يشأ إيمان جميع الناس وإلا لآمنوا، بخلاف النفاة الذين يقولون أنه شاءه فكل نفس قادرة عليه. ولكن سياق قوله تعالى فيه ردٌ عليهم، فقد قال الله تعالى: ((ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين))[5] وعقبها ((وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله)) وهذا خلاف رغبة النبي صلى الله عليه وسلم في إيمان قريش. ونظيره قوله تعالى: ((وأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا))[6]، وقوله: ((ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها))[7].

الاستدلال الثاني: ونسبوا الإرادة في قوله تعالى: ((فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعله صدره ضيقًا حرجًا))[8] إلى العبد، والله في الآية مرفوع، فلا يتم مقصودهم إلا بنصب لفظ الجلالة بنزع حرف الصلة (من) قبله كما في قولهم: "من يسرق القوم مالهم يقطع" ولكنه قليلٌ في كلام العرب ولا يقاس عليه.

الاستدلال الثالث: وأولوا قوله تعالى: ((ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس))[9] بأنه بالدفع والإلقاء جريًا على قول المثقب العبدي: "تقول إذا ذرأت وضيني *** أهذا دينه أبداً وديني" ولكنها درأت بالدال. ولا يستقيم تأويلهم على قول العرب: "أذرته الدابة عن ظهرها" بمعنى ألقته، وإلا لكانت الآية "ولقد أذرينا لجهنم" ولا

---

[1] إبراهيم 4
[2] فاطر 8
[3] ص12
[4] يونس 100
[5] يونس 99
[6] الرعد 31
[7] السجدة 13
[8] الأنعام 125
[9] الأعراف 179

على قولهم "ذرته الريح" ((فأصبح هشيمًا تذروه الرياح))[10] بمعنى "تنفسه وتلقيه" وإلا لكانت "ولقد ذرونا لجهنم".

فوجب أن يكون معنى الآية (خلقنا) كما في قول الله تعالى: ((ذرأكم في الأرض))[11]، وقوله: ((يذرؤكم فيه))[12].

وفسروا الفتنة في قوله: ((إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء))[13] بأنها اختياره ونسبوا الضلال للكافرين كما في قوله تعالى: ((وما يضل به إلا الفاسقين))[14] بعد صدر الآية ((وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلًا)). إلا أن سياق الآية يشير إلى بني إسرائيل وهم قد فتنوا بالعجل لما كانوا مسلمين وإلا لما غضب موسى عليهم.

فائدة: "وقد يأتي الحرف وظاهره العموم ومعناه الخصوص كقول موسى عليه السلام: ((وأنا أول المؤمنين))[15] وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "وأنا أول المسلمين" لم يريدا كل المؤمنين وكل المسلمين في جميع الأزمنة بل مؤمني زمن موسى ومسلمي زمن نبينا عليهما السلام
وكذلك قوله تعالى في بني إسرائيل: ((فضلكم على العالمين))[16] لم يفضلهم على محمد صلى الله عليه وسلم ولا أممهم على أمته وإنما أراد عالمي أزمنتهم"[17]

ثم ذكر أخبار بعض من حرف قراءة كتاب الله ليوافق به تأويل مذهبه.

القول بالجبر: ولكن فريقًا من أهل الإثبات جنح إلى الجبر الذي كان عليه الجهم بن صفوان لما رأوا غلو النفاة، فنفوا فعل العبد حقيقة ونسبوا إليه على سبيل المجاز الذي تنسب به الإمالة للحائط وإنما أميل به.

الحق بينهما: والحق ما لخصه ابن قتيبة بقوله: "وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدل لا يجور: كيف خلق وكيف قدر وكيف أعطى وكيف منع وأنه لا يخرج من قدرته شيء ولا يكون في ملكوته من السموات والأرض إلا ما أراد وأنه لا دين لأحد عليه ولا حق لأحد قبله فإن أعطى فبفضل وإن منع فبعدل وأن العباد يستطيعون ويعملون ويجزون بما يكسبون وأن لله لطيفة يبتدئ بها من أراد ويتفضل بها على من أحب ويوقعها في القلوب فيعود بها إلى طاعته ويمنعها من حقت عليه كلمته فهذه جملة ما ينتهي إليه علم ابن آدم من قدر الله عز وجل وما سوى ذلك مخزون عنه."[18]

نفي الصفات والرد عليه: وأبطل بعضهم بتعمقه في النظر صفات الله، فنفى حلمه وقدرته وجلاله، ووصفه بالحليم بلا حلم والقادر بلا قدرة، ويبطله الإجماع على قول: (أسألك بعفوك)، والعفو لا يكون إلا من العافي كما أن الحلم لا يكون إلا من حليم. فإن عارضوا ذلك بالمجاز قيل لهم مغفرة الله مصدر لغفرانه، وجعل الفعل (الغفران) حقيقيًا دون مصدره (المغفرة) محال.

---

[10] الكهف 45
[11] المؤمنون 79
[12] الشورى 11
[13] الأعراف 155
[14] البقرة 26
[15] الأعراف 143
[16] الأعراف 140
[17] ص15
[18] ص18

استدلالهم على خلق القرآن: واستدلوا على خلق كلام الله بثلاث آيات. قوله تعالى: ((إنا جعلناه قرآنًا عربيًا))[19]، فالجعل تعني الخلق، وقوله: ((ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث))[20] والمحدث مخلوق، وقوله: ((وكلم الله موسى تكليمًا))[21] ومعنى التكليم الإيجاد.

الرد على استدلالهم الثالث: "فخرجوا بهذا التأويل من اللغة والمعقول لأن معنى تكلم الله أتى بالكلام من عنده وترحم الله أتى بالرحمة من عنده كما يقال تخشع فلان أتى بالخشوع من نفسه وتشجع أتى بالشجاعة من نفسه وتبتل أتى بالتبتل من نفسه وتحلم أتى بالتحلم من نفسه ولو كان المراد أوجد كلاماً لم يجز أن يقال: يتكلم وكان الواجب أن يقال: أكلم كما يقال أقبح الرجل أتى بالقباحة وأطاب أتى بالطيب وأخس أتى بالخساسة وأن يقال أكلم الله موسى إكلاماً كما يقال أقبر الله الميت: أي جعل له قبراً أو أرعى الله الماشية جعلها ترعى في أشباهٍ لهذا كثيرة لا تخفى على أهل اللغة."[22]

فائدة: "والعرب تسمي الكلام لساناً لأنه على اللسان يكون"[23]

الرد على استدلالهم الأول - معنى الجعل: وأما استدلالهم بالجعل، فإن الجعل يكون خلقًا إذا تعدى إلى مفعول واحد كقوله تعالى: ((خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور))[24]، وقوله: ((وجعل منها زوجها))[25]. والجعل الذي يتعدى إلى مفعولين يأتي بمعنى التصيير كما في قوله تعالى: ((وقد جعلتم الله عليكم كفيلًا))[26]، وقوله تعالى: ((فجعلناها نكالًا لما بين يديها وما خلفها))[27]. "فإن هم وجدوا في القرآن كله جعل متعديه إلا القرآن وحده ليقضوا عليه بالخلق فنحن نتابعهم"[28]

الرد على استدلالهم الثاني - معنى المحدث: "وكذلك المحدث ليس هو في موضع بمعنى مخلوق، فإن أنكروا ذلك فليقولوا في قول الله: ((لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً)) أنه يخلق وكذلك قوله: ((لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرًا)) أي يحدث لهم القرآن ذكراً. والمعنى يجدد عندهم ما لم يكن. وكذلك قوله: ((ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث)) أي ذكر حدث عندهم لم يكن قبل ذلك."[29]

تأويل اليد وبيان معناها الحقيقي: وأولوا اليد في قوله تعالى: ((وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان))[30] بأنها النعمة. واليد في اللغة تأتي بمعنى النعمة والقوة واليد بعينها. ولا يجوز أن تكون اليد في هذه الآية بمعنى النعمة لأن النعمة لا تغل، ولا يجوز أن يريد أن نعمهم تغل أو أن نعمتاه تبسطان. فإن عارضوا ذلك بأن إرادة اليد بعينها تقتضي أن قوله: ((غلت أيديهم)) تعني أن كل يهودي لا يكون إلا مغلول اليد، فيقال أن قول الله: ((قتل الإنسان ما أكفره))[31] لم يقتض أن الله قتل الناس جميعًا.

واليدان في الآية هما اليدان التي يعرفها الناس.

تفسير قوله صلى الله عليه وسلم: ((كلتا يديه يمين)): "وما قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((كلتا يديه يمين)) فإنه أراد معنى التمام والكمال لأن كل شيء مياسره تنقص عن ميامنه في القوة والبطش والتمام وكانت العرب تحب التيامن وتكره التياسر لما في اليمين من التمام وفي اليسار من النقص ولذلك قيل اليمن والشؤم.

---

[19] الزخرف 3
[20] الأنبياء 2
[21] النساء 164
[22] ص20-21
[23] ص21
[24] الأنعام 1
[25] الأعراف 186
[26] النحل 91
[27] البقرة 66
[28] ص21
[29] ص21-22
[30] المائدة 64
[31] عبس 17

فاليمن في اليد اليمنى، والشؤم في اليد الشؤمى وهي اليسار.
وقالوا فلان ميمون من اليمين ومشؤوم من الشؤمى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإبل: ((إن أدبرت أدبرت وإن أقبلت أدبرت ولا يأتي نفعها من جانبها الأشأم)) يعني الأيسر."[32]

تأويلهم الروح: وأولوا الروح في قوله تعالى: ((**ونفخت فيه من روحي**))[33] بأنها الأمر.

دليلهم في ذلك: "واحتجوا بقول سليمان وأبي الدرداء: إنا نقوم فنكبر بروح الله أي بكلامه."[34]

الرد عليهم – معاني الروح في القرآن: "والروح كما ذكروا قد يكون كلام الله في بعض المواضع نحو قوله: ((يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده))[35] وكقوله عز وجل: ((وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا))[36]. والروح أيضاً: روح الأجسام الذي يقبضه الله عند الممات. والروح أيضاً: ملكٌ عظيم من ملائكة الله قال الله تعالى: ((يوم يقوم الروح والملائكة صفًا))[37] والروح: الرحمة قال الله تعالى: ((وأيدهم بروح منه))[38] أي برحمة كذلك قال المفسرون. وقال الله تعالى: ((فروح وريحان))[39] فمن قرأ بالضم أراد فرحمة ورزق وقال فبقاء ورزق. والروح: النفخ سمي روحاً لأنه ريح يخرج عن الروح."

معنى الروح في هذا السياق: "فأي شيء جعلت الروح من هذه التأويلات؟ فإذا نفخت: لا يحتمل إلا معنى واحداً قال ذو الرمة وذكر ناراً قدمها: وقلت له ارفعها إليت وأحيها *** بروحك واقتته لها قيتةً قدرا يقول أحيي النار بنفخك. فنحن نؤمن بالنفخ وبالروح ولا نقول كيف. ذلك لأن الواجب علينا أن ننتهي في صفات الله حيث انتهى في صفته أو حيث انتهى رسوله صلى الله عليه وسلم ولا نزيل اللفظ عما تعرفه العرب وتضعه عليه ونمسك عما سوى ذلك."[40]

نفي الرؤية وتأويلهم ما جاء فيها: قال تعالى: ((**وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة**))[41] وناظرة بمعنى منتظرة.

دليلهم على ذلك: "والعرب تقول نظرتك وانتظرتك بمعنى واحد ومنه قول الله: ((انظرونا نقتبس من نوركم)) أي انتظرونا. وقال الحطيئة: وقد نظرتكم إيناء صادرة *** للخمس طال بها حوزي وتنساسي أي انتظرتكم."[42]

الرد عليهم: "وما ننكر أن نظرت قد يكون بمعنى انتظرت وأن الناظر قد يكون بمعنى المنتظر. غير أنه يقال أنا لك ناظر أي: أنا لك منتظر. ولا يقال أنا إليك ناظر أي إليك منتظر إلا أن يريد نظر العين."[43]

استدلالهم الأول على نفي الرؤية: قوله تعالى: ((لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار))[44]

استدلالهم الثاني على نفي الرؤية: قول موسى عليه السلام: ((رب أرني أنظر إليك قال لن تراني))[45]

---

[32] ص23-24
[33] الحجر 29
[34] ص24
[35] غافر 15
[36] الشورى 52
[37] النبأ 38
[38] المجادلة 22
[39] الواقعة 89
[40] ص25-26
[41] القيامة 22-23
[42] ص25
[43] ص25
[44] الأنعام 103
[45] الأعراف 143

الرد عليها: هذه الآيات مقيدة بالدنيا بدلالة الأحاديث المتواترة التي تثبت رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى وتشبهها برؤية القمر في ظهورها ووضوحها.

قلب الاستدلال الثاني عليهم: لو كان معنى الآية أن الله لا يرى مطلقًا، لكان موسى عليه السلام جاهلًا بصفة من صفات الله، ولكان مشبهًا محددًا على أصلهم. ولكنه لما علم أن ذلك ممكن في الآخرة طلبه في الدنيا، ولكن منعه الله ذلك لعدم قدرته عليه. فإن كان الجبل الذي تجلى له الله عاجزًا فابن آدم أشد عجزًا. ولكن الله يقوي نظره في الآخرة.

فائدة: "والتجلي هو الظهور ومنه يقال جلوت المرآة والسيف إذا أظهرتهما من الصدأ وجلوت العروس إذا أبرزتها.**"**[46]

تأويلهم النفس: قال تعالى: ((تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك))[47] "أي تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك"[48]

الرد عليهم[49]: "عند" تدل على القرب، وعندهم أن الله في كل مكان وأن لا شيء أقرب إليه من شيء آخر.

تأويلهم خلق الإنسان من عجل: قوله تعالى: ((خلق الإنسان من عجل))[50] بمعنى أن العجل بمعنى الطين.

دليلهم: بيت: ((والحب ينبت بين الماء والعجل)).

الرد عليهم: البيت مجهول ولا يعرف قائله. والمراد من الآية خلق العجل من الإنسان.

نفي الخلة وتأويلهم: قوله تعالى: ((واتخذ الله إبراهيم خليلًا))[51] أي فقيرًا.

دليلهم: قول زهير: "وإن أتاه خليل يوم مسألة *** يقول لا غائبٌ مالي ولا حرم"

الرد عليهم: الإجماع على أن إبراهيم خليل الله وأن الخلة له يقتضي اختصاصه بذلك، فلو كانت الخلة بمعنى الفقر لما كان له فضيلة في ذلك.

تأويلهم الاستواء: قوله تعالى: ((الرحمن على العرش استوى))[52] أي استولى.

الرد عليهم: الاستواء لا يجيء في اللغة بمعنى الاستيلاء بل بمعنى الاستقرار كما في قوله تعالى: ((فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك))[53]

معنى استوى إلى: في قوله تعالى: ((ثم استوى إلى السماء))[54]، أي: "عمد لها وقصد"[55]

تأويلهم الأصابع: في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن))، وقالوا أنها النعمة.

---

[46] ص27
[47] المائدة 116
[48] ص27
[49] ولا يخفى أن هذا الجواب نقضي جدلي على مذهب الخصم
[50] الأنبياء 37
[51] النساء 125
[52] طه 5
[53] المؤمنون 28
[54] البقرة 29
[55] ص31

دليلهم: قول الراعي: "ضعيف العصا بدى العروق ترى له *** عليها إذا ما أمحل الناس إصبعا" أي أثرًا حسنًا.

وقول الطفيل: "كُمَيْتٌ كَبِكْرِ الناب أحيا بنابه *** مقالتيها واستحملتهن إصبع" "أي ظهر عليهم أثر حسن من المرعى"[56]

الرد عليهم: في الحديث دعاء بالتثبيت وهذا يمتنع إن كان القلب بين نعمتين من نعم الله، فيكون محفوظًا بذلك. كما أن هذا التأويل لا ينطبق على الحديث الآخر: ((يحمل الأرض على إصبع وكذا على إصبع وكذا على إصبع)) لذلك أنكروه.

تأويل الضحك: وحملوا الضحك على ضحك النبات إذا طلع زهره، و"ضحك الطلعة إذا انفتق كافورها عن بياضها، وضحك المزن إذا لمع فيه البرق"[57]

الرد عليهم: كل هذه المعاني فيها حدوث -كما في ضحك الإنسان- ينفون لأجله إثبات حقيقة الضحك.

المشبهة: عارض قومٌ غلو هؤلاء بتشبيه الله بخلقه وأخذوا بأحاديث ظاهرة الكذب كحديث عرق الخيل[58] وعرفات[59].

الحق بينهما: "وعدل القول في هذه الأخبار أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها فنؤمن بالرؤية والتجلي وإنه يعجب وينزل إلى السماء الدنيا وأنه على العرش استوى وبالنفس واليدين من غير أن نقول في ذلك بكيفية أو بحد أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت فنرجو أن نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غداً إن شاء الله تعالى."[60]

غلو الرافضة: غلوا في حب علي رضي الله عنه وادعوا له النبوة وعلم الغيب.

غلو النواصب: حطوا على علي رضي الله عنه وانتقصوا منه ولم يعترفوا بخلافته.

تأثر كثير من المحدثين بهم: أي النواصب، فلم يظهروا فضائله، واعتقدوا أن ابنه الحسين رضي الله عنه خارجي شاق لعصا الطاعة. واعتنوا بجمع فضائل معاوية وعمرو بن العاص.

حد الاعتدال: أن تقتصد في محبة علي رضي الله عنه، ولا تهلك بمحبته أو بغضه، وأن تعرف فضائله.

الاختلاف في اللفظ بالقرآن: أجمعوا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولكنهم اختلفوا في اللفظ به وقراءته. فيفكر أحدهم في أن القراءة غير مخلوقة كالقرآن لأن العرب تسمي القراءة قرآنًا، وقال تعالى: ((وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا))[61]، ويفكر آخر في أن القراءة عمل مخلوق يقع عليه الثواب. ويُفاضل بين قراءة فلان وفلان على أنها أداء للقرآن لا على أنها مفاضلة بين القرآن والقرآن. فيقع الاختلاف بينهما.

مذاهب الناس في ذلك: الأول: القراءة فعل مخلوق وليست هي القرآن. الثاني: القراءة هي القرآن نفسه، فهي غير مخلوقة. الثالث: "هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها ولم يتكلفوها ولا تعاطوها"[62]

---

[56] ص32
[57] ص33
[58] ((إن الله خلق الفرس فأجراها فعرقت فخلق نفسه منها))
[59] ((رأيت ربي بعرفات على جمل أحمر عليه إزار))
[60] ص34
[61] الإسراء 78
[62] ص38

الرواية عن الإمام أحمد: اضطربت الروايات عنه، وقوله: "من زعم أن القراءة مخلوقة فهو جهمي والجهمي كافر ومن زعم أنها غير مخلوقة فهو مبتدع وكل بدعة ضلال"[63] لا يصح عنه[64]، لأن الحق لا يخلو عن أحد الأمرين.

الرد على المذهب الثالث: لا يجوز السكوت عن الأمر وقد تفاقم وانتشر بين الناس، واستحكمت حيرتهم. فالسكوت لا يشفي ذلك. والناس أحوج إلى العلماء وبيانهم وقت البدعة والفتنة. والوقوف يبطل حجة أهل السنة في تكفيرهم الواقفة لشكهم، والشاك مقر على نفسه بالخطأ ضرورة.

التفصيل: "وعدل القول فيما اختلفوا فيه من القراءة واللفظ بالقرآن: أن القراءة لفظ واحد يشتمل على معنيين: أحدهما: عمل والآخر: قرآن إلا أن العمل لا يتميز من القرآن كما يتميز الأكل من المأكول فيكون المأكول الممضوغ والمبلوع ويكون الأكل المضغ والبلع والقرآن لا يقوم بنفسه وحده كما يقوم المأكول بنفسه وحده وإنما يقوم بواحدة من أربع: كتابة أو قراءة أو حفظ أو استماع فهو بالعمل في الكتابة قائم والعمل خط وهو مخلوق والمكتوب قرآن وهو غير مخلوق وهو بالعمل في القراءة قائم والعمل تحريك اللسان واللهوات بالقرآن وهو مخلوق والمقروء قرآن وهو غير مخلوق وهو بالاستماع قائم في السمع والاستماع عمل وهو مخلوق والمسموع قرآن غير مخلوق ومثل هذا وإن كان لا مثل للقرآن إلا أنه تقريب منا لما ذكرناه إلى فهمك مثل لون الإنسان لا يقوم إلا بجسمه ولا نقدر أن نقر اللون في وهمك حتى يكون متميزاً من الجسم وكذلك القدرة لا نقدر أن نفردها عن الجسم وكذلك الاستطاعة والحركة كل واحدة منهما لا تفرد وإنما تقوم بالجسم والجارحة ولا تنفرد عنهما كذلك القرآن يقوم بتلك الخلال الأربع التي ذكرناها ولا يستطيع أحد أن يتوهمه منفرداً عنها فإذا قلت قرأت أو تلوت أو لفظت دل قولك على فعل وقرآن كل واحد منهما قائم بالآخر غير متميز منه لأن الصوت وتحريك اللسان لا يكون قراءة حتى يحمله الصوت واللسان وليس سائر الأفعال والمفعولات هكذا ألا ترى أنك تقول شتمت وسببت وقذفت فيدل قولك على فعل ومشتوم ومسبوب ومقذوف إلا أن كل واحد قائم بنفسه متميز من الآخر فلهذا قلنا: إن القراءة شيئان وكذلك التلاوة واللفظ وقلنا الشتم شيء واحد."[65]

مثل الاختلاف في ذلك: كمثل الاختلاف في وصف جمرة أهي جسم أم نار؟ أو أكل إنسان أمضغٌ هو أو بلع؟ وكلا الوصفين صحيحان ولا ينقض أحدهما الآخر.

الإيمان ليس بمخلوق: وذهب بعضهم إلى أن الإيمان غير مخلوق خوفًا من التزام أن (لا إله لا إلا الله) مخلوقة، وذلك غلط لأن أفعال العباد مخلوقة، وقولهم يلزم نقيض ذلك.

لا ينبغي نفي شيء بسبب لازم متوهم: "فيا سبحان الله ما أعجب هذا وأعجب قائليه ولقد آلف الناس (غير مخلوق) وأنسوا به حتى أنه ليخيل إلي أن رجلاً لو ادعى أن العرش غير مخلوق وأن الكرسي غير مخلوق لوجد على ذلك أشياعاً ينتحلون السنة فماذا جر جهم لا رحمه الله على متبعيه بنحلته وعلى مخالفيه ببغضته."[66]

مناظرة مع جهمي: "وقد كان بعض الجهمية سألني مرة عن تكلم الناس في الحرف والحرفين، ولذلك أصل في الكتاب، أمخلوق هو أم غير مخلوق؟ فقلت: هو غير مخلوق ما لم يقصد به إلى تلاوة القرآن.
فقال لي: فإذن القرآن يصير كلاماً بنيتك والكلام يصير قرآناً بنيتك. قلت له: إن القول القليل قد يتغير بالنية والقصد وأنا أقر لك بذلك. ثم قلت له: أما تعلم أن ((لا إله إلا الله)) رأس الإيمان وكلمة التوحيد.
قال: بلى. قلت: فما تقول في ملحد قال: (لا إله) . يريد النفي ماذا تكون كلمته؟
فقال: كفراً. قلت: فإذن شطر كلمة التوحيد قد صار كفراً بالنية.
ثم قلت له: ما تقول في مؤمن أراد أن يقول: {لا إله إلا الله} فقال: (لا إله) ثم انقطع نفسه وسها. ما كان قوله؟
قال: إيماناً بحاله.

---

[63] رواه بنحوه ابن جرير الطبري في كتابه صريح السنة
[64] هذا ترجيح ابن قتيبة
[65] ص45-46
[66] ص48

قلت له: فإذن ما كان هناك كفراً بالنية قد صار ههنا إيماناً بالنية. وقلت له: ما تقول أنت في القرآن؟
قال: مخلوق. قلت: وفي أفعال العباد؟ قال: غير مخلوقة.
قلت: ما تقول في قول الله: ((ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين))[67] ما هو؟
قال: آية. قلت: فهي عندك أمخلوقة أم غير مخلوقة؟
قال: مخلوقة. قلت: فإن دعبل بن علي الشاعر جعلها بيتاً في شعر له طويل فقال: ويخزهم وينصركم عليهم *** ويشف صدور قوم مؤمنينا
فما هي في شعر دعبل؟ قال: قول لدعبل.
قلت: مخلوق أم غير مخلوق؟ قال: بل غير مخلوق.
قلت: فأراه صار فعلاً بالنية وخلقاً بالنية فما الذي أنكرته من قولنا هذا؟"[68]

انتهت الخلاصة هنا بحمد الله وفضله.

وقد ابتدأتها مساء الجمعة 1439/2/21هـ 2017/11/10م

مساء السبت 1439/2/22هـ
2017/11/11م

البراء بن محمد

albara1500@hotmail.com

---

[67] التوبة 14
[68] ص49-50